آفاق الحضارة الاسلامية، اكاديمية العلوم الانسانية و الدراسات الثقافية
السنة الثالثة عشرة، العدد الثانی، خريف و شتاء ١٤٣١هـ.ق، صص ٥٥ ـ ٧٩

الأدب والعيون

الدكتور السيد خليل باستان*

المستخلص

الكلامُ يدورُحول العيون من وجهة نظرالقرآن الكريم والادباء الماضين منهم والحاضرين،والذين بلغ عددهم فی هذه المقالة أكثر من خمسة وأربعين شاعراً، وما ترشح منهم من معانی الجمال لاوصاف العيون العظيمة، على لسان الظرفاء من الادباء، من سعة العيون، و سوادها وبياضها ،وسهامها ونبالها وسيوفها و ... التی قدمتها الشعراء فی هذا المضمار والتی بلغت المئات، فجئنا بشواهد مختلفة حيث بلغ أكثر من مئة وخمسين بيتاً من الفنون الشعرية مع ذكر أصحابها، ثم أشرنا الى الفنون المختلفة التی صدرت عن أفواه الشعراء، والنظرة الايجابية والسلبية للعيون.

الكلمات الرئيسة: القرآن الكريم، العيون، صفاتها، الأدباء، الشعر العربی.

المقدمة

حاولنا فی هذه الدراسة العاجلة أن نقف قليلاً على موقف الفنّ الادبی و الادباء من العيون، لأن الادب فيما مضی وفيما بقی، لا محالة خائض فی وصف سحر العيون، وذاكر جمالها وخصائصها و ... الكلام هنا طويل عريض، يستحق دراسة دقيقة على مستوى اطروحة دكتوراه.

وعلى أی حال قيل مالا يُدرک كلّه لايُترک كلّه، وعلى هذا الاساس قمنا بالوقوف على الكتاب العزيزورؤيته للعيون، وما يحتوی على بيان للجمال و تحبيب أهل الايمان الى ذلک.

ومن ثم وقفنا على آراء أصحاب الذوق والفن الادبی، من شعراء وخطباء ... حتی ندرک الجمال بادق معانيه، و أصدق أوصافه و ...، فجئنا بامثلة كثيرة من الابيات الشعرية المختلفة التی اعتنت بالعين و محاسنها وابراز جمالها الحقيقی، وما ترک من أثّر فی النفوس، وماقدّمته الشعراء من قتلی للعيون، وما جری عليهم من الويلات والثبور، ومالاقوه من الحسرات والهموم، وما أصابهم من مصائب و صعاب و

* استاذ مشارک كلية الادب الفارسی واللغات الاجنبية، جامعة العلامة الطباطبائی Seyedkhalil@hotmail.com
تاريخ الوصول: ٨٩/٨/٣، تاريخ القبول: ٨٩/٨/٣٠

Archive of SID
www.SID.ir

... والذى بذلوه فى حقّ العيون لا يساوى شيئاً، لأنّ الحور أغلى ثمناً وأنفس مالاً وثروةً، ومهورهن فى اليوم الموعود أكثر بكثير، مما يتصوّره احداً ألا وهو الايمان بالله العظيم والاقبال على العمل الصالح.

أ: القرآن الكريم والعين

للعين معانٍ مختلفة من حيث الاستعمال، وقد ذكر لها الدامغانى فى قاموسه وجوهاً خمسة {الاول: بمعنى النهر كما فى قوله تعالى: فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتا عَشْرَةَ عَيْناً (البقرة/٦٠، الثانى: شراب أهل الجنة كما فى قوله تعالى: عَيْناً يَشْرَبُ بِها عِبادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَها تَفْجيراً (الانسان/٦).الثالث: الحفظ والكلاءة كما فى قوله تعالى: وَ لِتُصْنَعَ عَلى عَيْنى (طه/٣٩)، أى بكلاءتى وحفظى. الرابع: النظركما فى قوله تعالى: أن اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنا وَ وَحْيِنا (هود/٣٧) أى بمنظر منّا. الخامس: الباصرة كما فى قوله تعالى: أَ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (البلد/٨). (الدامغانى، الحسين‌بن محمد، ١٩٧٠م: ٣٣٨ بتصرف). إنّ المعنى الخامس يخصنا فى هذا البحث، فلما أراد الله سبحانه أن يصف نساء أهل الجنة لاصحاب الايمان والعمل الصالح وأهل التقوى قال: كَذلِكَ وَ زَوَّجْناهُمْ بِحُورٍ عينٍ (الدخان/٥٤)، فالحور جمع حوراء بمعنى المرأة الشابة الحسناء الجميلة البيضاء، شديدةً سوادِ العين، او الشديدة بياض العين الشديدة سوادها، والعِين مفردها العيناء، وهى العظيمة العينين، فالوصف يركز على العيون دون سائر الاعضاء، لما فيها من جمال يستقطب الالباب. ونراه سبحانه وتعالى تارةً اخرى يصفهنّ بقوله: وَ عِنْدَهُمْ قاصِراتُ الطَّرْفِ عينٌ (الصافات/٤٨)، و القاصرات جمع قاصرة، وهنّ اللاتى يقصرن أطرافهنّ على أزواجهنّ لحبهنّ اياهم، لاينظرن الى سواهم، فالتركيزهنا جاءعلى العين أيضا، حيث الواسعات العيون، النجل العيون، أو الشديدات بياض العين والشديدات سوادها، وعلى هذا الاساس بنى أبو العتاهية قوله التالى:

غرّ الوجوه محجباتٌ قاصرات الطرف حورُ

(شيخو، ١٩٩٨،ج ٣:٢٩)

فهذا التركيز يُعدّ عاملاً أساسياً للتشويق والترعيب والتحبيب الى الجنان التى عرضها السموات والارض وفيها الحور المقصورات فى الخيام.

وقالت العرب أجمل ما فى الانسان وجهه، وأجملُ ما فى الوجه العين، فمقياس الجمال هو العين النجلاء لاغير، وهذا الامر جعل الشعراء يخوضون معارك قاسية ويقدمون الضحايا و يذرفون الدموع اللآلى فى سبيل الحبّ وسحر العيون،كما سنجد ذلك بعد قليل.ولكن القرآن العظيم فى الوقت نفسه نبّه على عظم خطر النظرات السقيمة لبعض النفوس المريضة قائلاً: قُلْ

Archive of SID

www.SID.ir

لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصارِهِمْ وَ يَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذلِكَ أَزْكى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِما يَصْنَعُونَ* وَ قُلْ لِلْمُؤْمِناتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصارِهِنَّ ... (النور/٣٠-٣١)، حيث تعدّهذه النظرات من سهام ابليس (لعنة الله عليه)، وكذلک السنة الشريفة حرّمت النظرة الثانية كما جاء فی الخبر : ان النظرة الاولی لک والثانية عليک، واعلم ان الله سبحانه وتعالی : يَعْلَمُ خائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَ ما تُخْفِي الصُّدُورُ (غافر/١٩)، وهو القادر على طمس العيون والقضاء عليها اذا تجاوزت حدودها، وأن العين مسؤولة أمام رب العالمين حيث يقول: إِنَّ السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ وَ الْفُؤادَ كُلُّ أُولئِکَ كانَ عَنْهُ مَسْؤُلاً (الإسراء/٣٦).

الجميل يُدرک الجمال:

العينُ أداة للبصر، ملک الاعضاء، وأرقی الحواس عند البشر، حيث تصلُ الی مطلوبها حيث لا تصل الحواس الأخری اليها، كما يقول الشريف الرضی:

سهمٌ أصاب ورامیه بذی سلم ... من بالعراق،لقدابعدتِ مرماک

(الشريف الرضی،١٤٠٦هـ.ق،ج٢: ١٠٧)

والمقصود من ذی سلم أرض الحجاز،فسهم العين يقطع مسافة طويلة وبعيدةحيث لا تستطيع الحواس الاخری بالقيام بها.

والعين أجملُ قطعة فنية وصفها البارئ تعالی، وجعلها فتنةً للناس، حيث يقول: وَ زَوَّجْناهُمْ بِحُورٍ عِينٍ (الطور/٢٠). فبالعين الساحرة يمكننا أن ندرک الجمال الساحر، كما جاء فی قول الشريف الرضی:

ياظبية البان ترعی فی خمائله ... ليهنک اليوم أن القلب مرعاک

الماء عندک مبذول لشاربه ... وليس يرويک الّا مدمعی الباکی

سهمٌ أصاب ورامیه بذی سلم ... مَن بالعراق، لقد أبعدتِ مرماک

وعدٌ لعينيک عندی ما وفيتِ به ... يا قرب ما كذبت عينیّ عيناک

حكت لحاضک ما فی الريم من ملح ... يوم اللقاء فكان الفضل للحاکی

كأنّ طرفک يوم الجزع يخبرنا ... بما طوی عنک من أسماء قتلاک

أنت النعيم لقلبی والعذابُ له ... فما أمرّک فی قلبی و أحلاکِ

(الشريف الرضی، محمدبن‌الطاهر، ج٣: ١٠٧)

وكذلک يقول بشار بن برد:

أنا والله اشتهی سحر عينيک ... وأخشی مصارع العشاق

(شيخو، لويس، مصدرسابق، ج٢: ٢٠)

ومن المعلوم أن بشاراً كان أعمی، فانظر كيف سحرت العيون قلبه.

Archive of SID

www.SID.ir

باء: الأدباء والعين

البحث عن العيون لدى الشعراء طويل وعريض، يستحق دراسة أكاديمية حتى تستوفى المطلوب وانّما جاء البحث هنا بايجاز، فمنذ أن انفجر عمود الشعر وليومنا هذا خاض الادباء فى العيون أىّ خوض، ولم يتركوا جانبا منه الّا ذكروه ووصفوه،وتفنّوا فى أدبهم بشتى الاساليب والبيان، على مرّ العصور و الازمان، فبرعوا وأبدعوا فى الجمال والحبّ لمّا تأثرت عواطفهم ومشاعرهم بالعيون، والبحث يدورُ على محاور عديدة نذكرُ منها:

١. شوق العيون

بما أنّ القلوب تشتاق الى الأحبّة حيناً بعد حين، ويزداد هذا الشوق وينقص حسب الظروف والأزمان، فان العيون كذلک تشتاق إلى أحبتها، فانظر الى براعة عمر بن أبى ربيعة حين يقول:

فعرفن الشوق فى مقلتها وحباب الشوق يُبديه النظر

(المصدر السابق، ج٢:١٨٧)

وأراد بالحباب الفقاقيع التى تعلو الماء. وكذلک قال الصنوبرى فى هذا المجال:

كم ثنايا تُسبى بنكهتها وكم عيون تُصبى بلحظتها

(المصدر السابق، ج٢:٢٢)

وأراد ب(تُصبى) اشتياق العيون.

٢. ألوان العيون

كما هو معروف أن للعيون ألواناً مختلفة، فيها آيات السحر مشهودة ومعانى الجمال مقصودة من قبل اصحاب الاذواق الأدبية، فقد تباينت أذواقهم فى وصفها، فمنها الدعجاء اى السوداء الواسعة التى وصفها القرآن العظيم بالحور العين، ثم انظر إلى قول الشاعر السلطان النبهانى الذى يرى أنّ العين الدعجاء سيف يقتل العشاق فى هذا البيت:

لقد سللت سيف جفن أدعج على همام أروع متوّج

وكذلک يرى أبونواس هذا المعنى فى هذا البيت:

قالوا: فزد ،قلت وفى ال عينين منه دعج

(ديوان ابى نواس: ٤٦)

Archive of SID

www.SID.ir

وكذا يقول بشار:

ودعجـاء المحـاجر مـن معـدّ كـــأنّ حـــديثها ثمرُالجنـــان

(شيخو،لويس،ج٣:٢٠)

وينظر البحترى الى الجمال الذى يرافق العيون الحور بقوله:

وســـوادُالعيون لـــو لـــم يُحجّـــر بيـــاض، مـــا كـــان بـــالموموق

(الاسكندرى، احمد، ١٩٥١م، ج٣:١١٠)

ويراد ب(لم يحجّر) اى لم يحط، وبالموموق اى المحبوب. وقال الشاعر المهجـرى إيليـا أبـو ماضى فى العيون السوداء:

ليـت الـذى خلـق العيـون السـودا خلـق القلـوب الخافقـات حديـدا

ومنها العين النجلاء التى اشدُّ فتكاً من أفعى حرّة، فانّها تقتل حين ترمى، قال عمر بن أبى ربيعة:

وأقـــبلن يمشـــين الهوينـــا عشـــيةً يُقـتّلن مـن يـرمين بالحـدق النُجـل

ومنها الشهلاء، والشُهلة حمرة فى سوادها، (الثعالبى،اسماعيل، بلا:٩٥)، وقيـل سـواد الحدقـة يضرب الى الحمرة، قال السرى الرفاء:

فهـــل كشُـــهل العيـــونِ مـــن كثـــبٍ وهـــو كزُهرالنجـــوم مـــن بُعـــدِ

(شيخو، لويس، ج٣:٢٩٢)

ومنها العين الكحلاء، لم يكن سواد العين وحده يسحر أذواق الشعراء بل تجاوز الى الاجفـان السود من غير إضافة الكحل إليها، كما قال التلعفرى:

حميت شقيق الخـدّ بالمقلـة الكحـلا وثقلـت رُمـح القـدُ بالطعنـة الـنجلا

هذا من جانب، ويرى بعض الشعراء من جانب آخر، انّ العين أحياناً تتكحّل بنور الحبيبة كما يشير الى هذا المعنى عبد الجبّاربن حمديس:

ولمّـا عَشـينا مـن توقّـد نورهـا تخـذنا سـناه فـى نواظرنـا كحّـلا

(الاسكندرى، أحمد، خ ١٦٧:٣)

ويرى عمر بن أبى ربيعة ان عينه تكحلت بالقذى من ألم الفراق كما هو المشهود فى البيت التالى:

وقد كحلـت عينـى القـذى لفـراقكم وعـاد لهـا تهتانُهـا فهـى تسـجُمُ

(شيخو، لويس، ١٩٩٨م، ج٢:١٩٣)

ويرى ابن ابى الحديد انّه يكحل عينه بغبار نعال الحبيب كما هو فى بيته التالى:

Archive of SID

www.SID.ir

قســماً بتــرب نعالــه فمحــاجرى أبــداً بغيــر غبــاره لا تكحــلُ

(الصالح، صالح‌علی، ١٩٧٢:١٤٩)

وللعين الوان اخرى مثل الزقاء والخضراء و ... ولها أسرار ومعانٍ متفاوتة نعرض عنها صفحاً خوف الإطالة.

٣. اشكال العيون

منها الناعسة والضاحكة والحزينة، واما الناعسة فهى التى يتميز اصحابها بالهدوء والسكينة كما يصفها ابن الرومى قائلاً:

وألقــت جُــنح مغربهــا شــعاعاً مريضــاً مثــل ألحــاظ الكعــاب

(شيخو، لويس، ١٩٩٨م، ج٣:١٠٢)

والمراد: من جُنح مغربها اى فى ظلام الغروب، والكعاب أى الجارية الناهدة، ويقول آخر:

يا ناعس الطرف لا ذقت الهوى أبـداً أسهرت مضناک فى حفظ الهوى فـنم

والعيون الناعسة علامة للدلال و الدلع و ... . لقد جمع الشاعر سويد بن ابى كاهل بين صفاء العين وفتورها وكحلها فقال:

صــافى اللــون وطرفــاً ســاجياً أكحــل العينــين مــا فيــه قمــع

(الخطيب التبريزى، يحيى، ١٨٧٨، ج٢:٨٧)

واما العيون الضاحكة، فقد نسبها الرب الجليل للوجوه حيث يقول: (وُجُوهٌ يَوْمَئِـذٍ مُسْـفِرَةٌ * ضاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ) (عبس/٣٩)، ويتميز أصحابها بالذكاء والطرافةوأمّا العيون الحزينة، فهى التى تترقق الدموع فيها ويمتاز أصحابها بالحكمة وروعة الروح.

٤. تشبيهات العيون

شبّه الشعراء العيون بأفضل التشبيهات من سوادها وسعتها، بالغزلان والمها والجؤذر، وأخرى بالنرجس وما شابه ذلک، يقول عنترة بن شداد:

وكأنّمــا نَظَــرَتْ بعينــى شــادن رشــأ مــن الغــزلان لــيس بتــوأم

(شيخو، لويس، ١٩٩٨م. ج١:١٥٤)

وفاعل نَظَرَتْ عبلة، والشادن ولد الظبى، والرشأ ولد الظبى إذا قوى وركض، وليس بتوأم يعنى انّه فرد ويدلّ على سمنه وقوته. يقول الشريف الرضى فى الظباء الواسعة العيون:

Archive of SID

www.SID.ir

هيهـات يتبعنـى الـى سُـلوانه قلـبٌ أصـاب بـه الظبـاءالعين

(الشريف الرضى، محمد،١٤٠٦ هـ.ق، ج٢:٤٧١)

وتارة يرى الحبيبة تنظر اليه بعين الشاة الوحشية حيث يقول:

ترنـــو إلـــىّ بعـــين مطفلـــة رعت اللوى ومسـاقط المُـزن

(المصدرالسابق ج٢:٤٧٩)

والمراد بعين مطفلة اى بعين شاة وحشية ذات طفل، فهى واسعة العـين كحـلاء، واللـوى مـا التوى من الرمل.

ويرى البارودى من المعاصرين ان العيون هى عيون المها كما جاء فى قوله:

محا البين ما أبقت عيـون المهـا منّـى فشبتُ ولم أقـض اللبانـة مـن سـنّى

(محمدى:١٩)

والبين الفراق، والمها البقرة الوحشية يستحسن منها العيون الواسعة، اللبانة الحاجة. وهذا معـن بن أوس يرى العين هى عين الجؤذر(ولد البقر الوحشى) فى قوله:

ســبتنى بعينـــى جـــؤذر بخميلـــة وجيـد كجيـد الـرئم، زيّنـه الـنظم

(شيخو، مصدرسابق،ج٢:٥٦)

والمراد بالخميلة الرملة تنبت الشجر، الجيـد الرقبـة، والـرئم الغـزال الابـيض اللـون. ويـرى الصنوبرى ان سعة العيون تشبه النرجس فى قوله:

أجفـــان كـــافور خفقـــن بـــاعين مـــن زعفـــران ناعمـــات اللمـــس

مغرورقـــات فـــى ترقـــرق كلّـــه ترنـــو بعـــين النـــاظر المتفـــرّس

(المصدرالسابق، ج٣:٢١٨)

ومغرورقات غارقات بالدمع، ترقرق تلألأ، المتفرّس: الذكى.

٥. قتلى العيون

بالغ الشعراء فى وصف العيون وسحرها إلى حدّ الفداء والقتل، وقيل إنّ اغزل شعر قالته العرب هو قول جرير التالى:

إنّ العيـون التـى فـى طرفهـا حـورٌ قتلننـــا ثـــم لـــم يحيـــين قتلانـــا

يصرعنَ ذا اللب حتى لا حـراك بـه وهـــنّ أضـــعف خلـــقِ الله إنســـانا

(الهاشمى، أحمد، بلاتا، ج٢:١٥٢)

Archive of SID

www.SID.ir

ويعتقد أبونواس انّ العيون سيوف قتّالة فی هذا البيت:

أراه ســـــوف يقتلنـــــی بـــبعض ســـيوف مقلتـــه

(ابونواس، الحسن‌ابن هانی،١٩٨٠م:٤١)

ويری ابن الفارض انّ العيون رماة سهام فی هذا البيت:

وقـد علمـوا أنّـی قتيـل لحاظهـا فـإنّ لهـا فـی كـلّ جارحـة نصـلَ

(ابن الفارض، عمربن‌أبی‌الحسن،١٩٦٢م: ١٣٦)

بل يری أبونواس أشدّ من ذلک حيث جعل لكلّ عضو فی وجه الحبيب نوعاً من السلاح كما جاء فی البيت التالی:

فالسيف مضحكة، والقوس حاجبيه والسهم عيناه، والاهداب أرماح

(ابونواس، الحسن‌ابن هانی،١٩٨٠م :٤٨)

ويذهب عمر ابن أبی ربيعة الی عدم وجود القصاص فی قتلی العيون فی هذه الأبيات:

ولهـا عينـان، فـی طرفيهـا حَوَرٌمنهـا وفـی الجيـد غيـدْ

ولقـد أذكـر اذ قيـل لهـا ودمـوعی فـوق خـدّ ی تطّـردْ

قلـت: مـن أنـتِ؟ فقالـت:أنـا مـن شـفّهُ الوجـد وأبـلاه الكمـدْ

نحـن أهـل الخيـف مـن أهـل مِنـی مـا لمقتـول قتلنـاه قـوَدْ

(شيخو، لويس، ١٩٩٨م، ج٢:١٩٤)

ويراد ب(غيد) النعومة فی العنق، وشفّه الوجد أوهنه الحبّ، والكمد الحزن الشديد، والقود القصاص.

ويقرأ الشريف الرضی عدد القتلی من خلال النظر الی العيون:

كأنّ طرفک يوم الجزع يخبرنـا من ينظر فی عينيک يفهم عدد

(الشريف الرضی، محمدبن‌الطاهر، ١٤٠٨ هـ.ق، ج١٠٧:٢)

ويری ابن المعتز انّ العيون ترشد الی قتل المحبين:

يا مفـرداً فـی الحسـن والشـكل مـن دلّ عينيـک علـی قتلـی

(شيخو، لويس،١٩٩٨م ،ج١٦٣:٣)

٦. سحر العيون

يعدّ الشعراء العيون سواحراً قدمن من مدينة السحر، بابل العراق، كما جاء ذلک فی قول أبی العتاهية:

Archive of SID

www.SID.ir

كأنّ فی فیها وفی طرفها سواحراً اقبلن من بابل

(المصدر السابق، ج٣:٣٦)

ویری أیضاً أنّ العیون الساحرة لها هیبةٌ وعظمة کما جاء فی قوله:

تقلّب ألحاظ المهابة بینهم عیون ظباء فی قلوب أسود

(المصدر السابق، ج٣:٣٢)

وهکذا یعتقد آبونواس بسحر العیون فی الجفون کما هو واضح فی البیت التالی:

بعینیه سحر ظاهر فی جفونه وفی نشره طیب کقائمة العطر

(أبو نواس، الحسن‌ابن هانی،١٩٨٠م:٦٥)

وفی هذا البیت أیضا:

قل لذی الطرف الخلوب ولذی الوجه الغضوب

(المصدر السابق:٢٤)

والمراد من الخلوب الساحر. وهذا السحر یُری فی قول کعب بن زهیر فی قصیدته البردة المشهورة:

وما سعادُ غداة البین اذ رحلوا إلّا أغنُّ غضیض الطرف مکحول

(شیخو، لویس،١٩٩٨م ،ج٢:١١)

ومن سحر العیون انّها تُسقی الخمور کما یعتقد بشاربن برد:

حوراء إنْ نظرت الیک سقتک بالعینین خمرا

(المصدرالسابق، ج٣:٢٠)

لقد أجاد وأکمل وأجمل ابن هانئ الاندلسی البیان فی سحر العیون، وجمع أطراف الکلام فی أجزائها، وألبسها ثوب الجمال، وأری أنّ أحداً من الشعراء لم یقل مقالته التی جاءت فی الأبیات التالیة:

فتکات طرفک أم سیوف أبیک وکئوس خمر، أم مراشف فیک؟

أجلاد مرهفة وفتک محاجر ؟ ما انت راحمةٌ ولا أهلوک

عیناک أم مغناک موعدُنا وفی وادی الکری ألقاک أم وادیک؟

منعوک من سنة الکری، وسروا فلو عثروا بطیف طارق ظنّوک

حسبوا التکحّل فی جفونک حلیة تالله ما بأکفهم کحّلوک

(المصدرالسابق، ج ١٨:٥)

Archive of SID

www.SID.ir

٧. سهر العيون

من سنن الله تعالى القائمة بين الأنام المنام ليلاً، كما قال عزّ وجلّ: ﴿وَ هُوَ الَّذى جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِباساً وَ النَّوْمَ سُباتاً﴾ (الفرقان /٤٧)، ولكنّ الذى اشتغل باله بالحبيب يطير النوم من دماغه، ويظنّ انّ الليل قد طال زمانه، كما يرى امرأ القيس:

ألاايّها الليل الطويل الا انجلى بصبح وما الإصباح منک بامثل

فيالک من ليل کأنّ نجومه بأمراس کتّان الى صُمّ جندل

(الزوزنى، الحسين‌بن‌احمد، ١٩٩٤م :٥٦)

والمراد بالانجلاء الانكشاف، والأمثل الافضل، والامراس الحبال، والاصم الصلب، والجندل الصخرة، وهكذا هو الكلام لدى الشعراء المعاصرين، منهم محمود سامى البارودى الذى يقول:

نفى النومَ عن عينيه نفسٌ أبيةٌ لها بين أطراف الأسنة مطلبُ

(الهاشمى، أحمد،بلاتا، ج٢:٢٧٧)

فالذى باله مشغول بالانتصار فى الحرب تسهر عيناه ولا تغفل عن النصر. وهكذا الحبيب فهو فى حالة السهر والأرق كما يرى الكميت:

نفى عن عينک الأرق الهجوعا وهم يمترى منها الدموعا

(الصالح، صالح على، ١٩٧٢ م: ٧٨)

والمراد بالأرق السهاد، والهجوع النوم، فصاحب الشوق ومالک الهمّ سهران لا يذوق طعم النوم والراحة لحظة. وهكذا يشعرأبوالعتاهية بألم السهر قائلاً:

أرقتُ وطار عن عينى النعاسُ کلاهما ساه وساهر

(شيخو، لويس،١٩٩٨م، ج٣:٣١)

ويرى أبونواس انّ فتور العين لتدلّ على السهر فى بيته التالى:

تفتير عينيک دليل على انّک تشکو سهر البارحة

(المصدرالسابق، ج٣:٥١)

٨. الحياء والعيون

الحياء صفة حميدة لدى الجاهليين، حيث تمسّکوا بها ردحاً من الزمان، كما يقول عنترة الفوارس:

وأغضُّ طرفى ما بدت لى جارتى حتى يُوارى جارتى مأ واها

(المصدر السابق، ج١:١٦٥)

Archive of SID

www.SID.ir

فما بالک بالاسلام الذی حثّ الرجال والنساء علی الحیاء کما جاء فی القرآن الکریم: (قُلْ لِلْمُؤْمِنینَ یَغُضُّوا مِنْ أَبْصارِهِمْ وَ یَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذلِکَ أَزْکی لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبیرٌ بِما یَصْنَعُونَ*وَ قُلْ لِلْمُؤْمِناتِ یَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصارِهِنَّ ...) (النور/۳۰-۳۱). والی هذا المعنی أشار الفرزدق فی قصیدته المعروفة التی مدح بها الامام زین العابدین(ع) حیث قال:

یُغضی حیاءً ویُغضی من مهابتهِ فلا یُکلّم الاّ حین یبتسمُ

(شیخو، مصدرسابق، ج ۲: ۱۲۲)

فهنا إطباقان الاول للحیاء الخاص بالامام زین العابدین(ع) والثانی لعیون المشاهدین هیبة وإجلالاً له (ع).

یقول صاحب کتاب الشعر و الشعراء: تدبرتُ الشعر فوجدته أربعة أضرب، ضرب منه حسن لفظه وجاد معناه کقول القائل: یُغضی حیاءً ... البیت أعلاه، لم یقل فی الهیبة شیئ أحسن منه (ابن قتیبة ،۱۹۰۲: ۷)، ویری ابن قتیبة ایضاً فی قول جریر:

لولا الحیاء لعادنی استعبارُ ولزرتُ قبرک والحبیب یُزار

إنّه من جید شعرهِ وهو فی مرثیة أم حرزة امرأته (المصدر السابق: ۳۰۸). قیل ان أهجی بیت مع التصوّن عن الفحش قول جریر:

فغُضَّ الطرف إنّک من نُمیر فلا کعباً بلغتَ ولا کلابا

(شیخو، لویس، ۱۹۹۸م، ج۱۵۷:۲)

ثم لننظر إلی ابن أبی الحدید لنراه کیف سطّر آیات الجمال مازجاً الخوف بالحیاء فی أجمل صورة من البیان حیث یقول:

یصفرُّ وجهی حین أنظرُ وجهه خوفاً فیدرکه الحیاء فیخجلُ

(الصالح، صالح علی، ۱۹۷۲م: ۱٤۹)

وهکذا الأمر بالنسبة للشعراء المعاصرین منهم حافظ ابراهیم یمدح الشیخ محمد عبده قائلاً:

رأیتُک والأبصارحولک خُشّعٌ فقلت أبو حفص ببردیک أم علی

(الهاشمی، أحمد، بلاتا، ج۲۵۵:۲)

وکذلک یقول الأدیب المشهور أحمد شوقی:

إخلع النعل واخفض الطرف واخشع لا تُحاول من آیة الدهر غمضا

(المصدر السابق، ج۲٤٤:۲)

Archive of SID

www.SID.ir

٩. القلوب والعيون

قال الامام علی(ع) :القلب مصحف البصر، (الصالح صبیحی، ١٩٦٧م: ٧٢٦) فما یراه البصر والعین تسجّله القلوب والأفکار، وتُخزنُ الأسرار فیها لوقت الحاجة، بناءًعلی هذا ما لا تُدرکه العیون یغیب عن القلوب، کما یُشیر الی هذا المعنی البیت التالی:

ومن غاب عن العین فقد غاب عن القلوب

(ابو نواس، الحسن‌ابن هانی،١٩٨٠م: ٢١)

وبما أنّ القلوب سجلّ الحوادث والتواریخ، فالعبد یطلب من ربّه أن یحفظ عینیه من الخیانة وأن یطهّر قلبه من النفاق کما جاء فی هذا الدعاء: اللهمّ طهّر قلبی من النفاق، وعملی من الریاء، ولسانی من الکذب، وعینی من الخیانة، فإنّک تعلم خائنة الأعین وما تُخفی الصدور(القمی عباس، ١٣٨٥: ٣٩٧). و من جانب آخر احیاناً العین والقلب یشترکان أحیاناً فی حصاد الذنوب ، کما یعترف دعبل الخزاعی فی البیت التالی:

لاتأخذا بظلامتی أحدا قلبی وطرفی فی دمی اشترکا

(شیخو، لویس، ١٩٩٨م، ج٣:٧٧)

وأیضاً یری أبوالعتاهیة نفس الرؤیة حیث یقول:

خانکَ الطرفُ الطموحُ ایّها القلب الجموحُ

(الاسکندری، أحمد، ١٩٥١م، ج٣:٣٧)

وهکذا یری أبونواس فی قوله:

أنّ القلوب مع العیون اذا جنت جاءت بلیّتها علی الإجساد

(ابونواس، الحسن‌ابن هانی،١٩٨٠م: ٥٥)

وکذلک یقول سوید بن کاهل الیشکری:

أرّق العین خیالٌ لم یدع من سُلیمی ففؤادی منتزعْ

(شیخو، لویس، ١٩٩٨م، ج٢:١٧٦)

هذا ویری بعض الأدباء أنّ القلب یسمع ویری کما أشار الإمام علی(ع) فی وصف المتقین حیث یقول: «واذا مرّوا بآیة فیها تخویف أصغوا الیها مسامع قلوبهم، وظنّوا انّ زفیرجهنم وشهیقها فی أصول آذانهم» (الصالح صبحی،١٩٦٧م:٣٠٤)، فللقلوب آذان تسمع وعیون تری، وجاء هذا المعنی علی لسان بشاربن برد:

Archive of SID

www.SID.ir

فقلت دعوا قلبی وما اختار وارتضی فبالقلب لا بالعین یُبصر ذو الحبّ
فما تُبصرُ العینان فی موضع الهوی ولاتسمع الأذنان إلّا من القلب

(شیخو، لویس، ١٩٩٨، ج٣:١٩)

فقلوب ذوی الألباب تری وتسمع وتختار، وهذا هو الحبّ الحقیقی ، إذا إنبعث من القلب لامن العین واللسان، وإلی هذا المعنی أشار أبونواس قائلاً:

إذا أبصرت عین قلبی لحینه المتقارب
ضبیاً یمیل التهابی علیه من کل جانب

(ابونواس، الحسن بن هانی،١٩٨٠م:٢٨)

ویری ابن الرومی انّ النظرات تعدّ رسائل الی القلوب کما جاء فی هذا البیت:

لحظات أجفان الحبیب رُسل القلوب الی القلوب

(شیخو، لویس، ١٩٩٨م، ج٣:١٣٦)

وتلام العینُ أحیاناً دون القلب کما یری أبونواس فی هذا البیت:

عینی !ألومک لا الو مُ القلب ،لا ذنبٌ لقلبی
أنت التی قد سمته ببلیّة و ضناً و کرب
وسقیتِهِ من دمعک ال سفّاک سکباً بعد سکب

(أبونواس، الحسن بن هانی،١٩٨٠م:٢٥)

والی هذه المعانی نجد مفاهیم اخری ذُکرت للعین من قِبَلِ الشعراء، وعلی رأسهم المتنبی الذی یری انّ العیون ملکة القلوب، فی کلامه هذا:

مطاعة اللحظ فی الألحاظ مالکة لمقلتیها عظیم المُلک فی المقل

(البرقوقی، عبدالرحمن، بلا تا، ج٣:١٠٢)

وقیل: بین الحقّ والباطل أربعة أصابع، فما تراه العین حقّ وما تسمعه الأذن باطل، ویشیرالمتنبی الی هذا المعنی قائلاً:

خُذ ما تراه ودع شیئاً سمعت به فی طلعة البدر ما یُغنیک عن زُحل

(المصدر السابق، ج٣:٢٠٥)

ویری الشریف الرضی انّ الید وان کانت مظهراً للقوة ولکنّها لا تبلغ المنی کالعین، انظر الی کلامه فی هذا البیت:

Archive of SID

www.SID.ir

ويــا ربّمــا، والهــوى ضــلّة تــرى العــين مــا لا تنــال اليــد

(الشريف الرضى، محمدبن‌الطاهر،١٤٠٨ق، ج١:٣٩٣)

ويرى المراربن منقذ وآخرون انّ الإعجاب يتمّ بواسطة العين كما جاء فى هذا البيت:

راقــهُ منهــا بيــاضٌ ناصــعٌ يُؤنــقُ العــين وفــرعٌ مُســبكر

مسبكر: منبسط مسترسل.

(الخطيب التبريزى، يحيى، ١٩٨٧م، ج١: ٤٢٨)

و يرى الصنوبرى أنّه يمكن معرفة المرض من العيون كما فى البيت التالى:

إنّ ورد الخــدود أحســن مــن عــين بهــا صُــفرة مــن يرقــان

(شيخو، محمدبن‌الطاهر، ١٤٠٨ هـ.ق، ج٣: ٢٢٣)

واخيراً يمكن للعين ان ترى الكثير قليلاً كما جاء فــى القــرآن الكــريم: ﴿وَ إِذْ يُرِيكُمُــوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فى أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً﴾ (الانفال/٤٤). وكذلک جاء فى ديوان الحماسة لأبى تمام قوله:

و يصغر فى عينى تــلادى إذا انثنــت يمينــى بــادراک الــذى كنــت طالــب

(الأعلم الشنتمرى، ١٩٩٢، ج١: ١١٣)

ويرى المتنبى هذا الرأى حينما يمدح سيف الدولة قائلاً:

وتعظــم فــى عــين الصــغير صــغارها وتصــغر فــى عــين العظــيم العظــائم

(البرقوقى، بلاتا، ج ٤: ٩٤)

وفى هذا المضمار يقول الناشئ الصغير:

لم يشهد المسلمون قــطُ رحــى حرب الفوا سواه قطــب رحــى

(الأمينى ،عبدالحسين، ١٩٦٧ ج ٤: ٢٤)

وأنــت الخليفــة يــوم انتجــاک على الكور حيناً وقــد عاينوكــا

أذا شــاهدوا الــنصّ قــالوا لنــا توانى عن الحــقّ واستضــعفوكا

(الأمينى، المصدر السابق، ج٤:٢٥)

١٠. انواع الرؤيا

الرؤيا امّا إيجابية مثل الرمق، واللحظ، واللمح، والرشق، والنظر ، والمشاهدة، و ... وإمّا سلبية مثل عمش، وعشو، وحول، وعور، وعمى و ... قد تطرق الشعراء اليهــا فــى قصــائدهم، مــنهم دعبــل الخزاعى الذى يقول:

Archive of SID

www.SID.ir

ألم تر أنّـى مـن ثلاثـين حجـة أروحُ وأغـدو دائـم الحسـرات

(شيخو، لويس،١٩٩٨م، ج٣:٦٩)

فالرؤيا هنا النظر بالعين المجردة، وبهذه الرؤية يتمّ النظر الى المحاسن كما يقول امرؤ القيس:

ورُحنـا، يكـاد الطـرف يقصـر دونـه متـى مـا تـرقّ العـين فيـه تسـفل

(المصدر السابق :ج٢: ٥)

حيث يصف محاسن فرسه وقت العشيّ، وانّ النظر لا يسعه أن يرى محاسن أعالى جسمه، بل يجد المحاسن فى أسافله، فلا يمكن حصر النظر فى شيئ واحد من محاسنه. وهكذا يشعر بشـار برؤية الحسناء فى قوله:

يـا منظـراً حسـناً رأيتـه مـن وجـه جاريـة فديتـه

(المصدرالسابق، ج٣: ٢٢)

وإذا كان الإنسان ذانية خالصة سيرى الجمال فى كلّ شيئ كما يقول أبونواس:

رأيـتُ فيـک ظبـاءً لا قـرون لهـا يلعـبن منّـا بألبـاب وأرواح

(أبونواس، الحسن بن هانى،١٩٨٠م: ٤٧)

واحياناً يستعمل الشعراء الترائى للتظاهر كما فى هذا البيت لبشّار:

قامـت تـراءى إذ رأتنـى وحـدى كالشـمس تحـت الزبـرج المنقـدّ

(شيخو، لويس، ١٩٩٨م، ج٣: ١٣)

وتأتى كلمة الرؤيا بمعنى الاعتقاد ، كما هو مفصّل فى علم النحو، فيتعدى إلى مفعولين، فانظر إلى بيت الحماسة التالى:

يرى أنّ بعـد العُسـر يسـراً ولايـرى إذا كـان عسـرٌ أنّـه الـدهرَ لازبُ

(الاعلم الشنتمرى، يونس‌بن سليمان،١٩٩٢م، ج٢:١١٧)

واستخدم أبوالعتاهية الرؤيا بمعنى الاعتقاد فى البيت التالى:

مـا أرى حبّـک الّـا بالغـاً بـى فـوق حـدّه

(شيخو، لويس،١٩٩٨م، ج٢: ٣٦)

وهكذا قال دعبل الخزاعى فى قصيدته التائية المشهورة:

أرى فيئهم فى غيرهم متقسّـماً وأيـديهُم مـن فيـئهم صـفرات

(المصدر السابق، ج٣: ٦٩)

Archive of SID

www.SID.ir

١١. الزجر بالعين

يقرأ الانسان من خلال النظر الى العيون ما لا يقرأه فى اى مصحف، من الخوف والفرح والحزن والغضب والزجر، كما يقول أبونواس:

وإنّى لطرف العين بالعين زاجرٌ فقد كدتُ لا يخفى علىّ ضمير

(المصدر السابق، ج٣:٤٩)

واما الغضب فى العيون فيقول عنه الدينورى:

مدمدمٌ لا أراه إلاّ مقطّبَ الوجه ما رآنى

(الاسكندرى، أحمد، بلاتا، ج٢: ١٣)

وهكذا يرى أبو العلاء المعرّى فى بيته التالى:

يسرع اللمح فى إحمرار كما تُسرع فى اللمح مقلة الغضبان.

(المصدر السابق، ج٢:٧٦)

١٢. النوم والعيون

جعل الله النوم ليلاً راحةً للأبدان وانقطاعاًعن الأعمال طوال النهار، حيث يقول سبحانه: (وَ هُوَ الَّذى جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِباساً وَ النَّوْمَ سُباتاً). (الفرقان/٤٧)

وللنوم مراتب اوّله النعاس ويتلوه الوسن ثم الكرى ثم الاغفاء ثم الرقاد ثم الهجود وأخيراً التسبيخ وهوأشدّ النوم. وما بينها مراتب اخرى. يقول دعبل الخزاعى:

الحمد لله لا صبرٌ ولا جلدُ ولا عزاءٌ إذا أهل البلى رقدوا

(شيخو، لويس، ١٩٩٨م، ج٢: ٧٢)

وعندما يستولى النوم على الانسان تأتيه الاحلام الصادقة و الكاذبة والمزعجة والمريبة كما أ شار الله تعالى اليها، فمن الرؤيا الصادقة قوله عزّوجلّ عن لسان إبراهيم (ع): (يا بُنَيَّ إِنِّى أَرى فِى الْمَنامِ أَنِّى أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ ما ذا تَرى) (الصافات/١٠٢)، فما مضت سويعات حتى تأوّل هذا الحلم حيث يقول سبحانه: (قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيا إِنَّا كَذلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنينَ). (الصافات/١٠٥) ومنها أضغاث أحلام لايمكن الركون اليها . ومن جهة ثانية كثيراً ما تنزل البلايا والمصائب التى تفتك بالانسان ليلاً وعند النوم خاصة، كما يقول تعالى: (فَطافَ عَلَيْها طائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَ هُمْ نائِمُونَ) (القلم/١٩)، و الحديث طويل فى هذا الباب لا تسعه هذه المقالة. ولننظر إلى موقف الشعراء من النوم، فهذا أبو العلاء يتصوّره إنساناً هارباً عن الأجفان و الأفئدة فى قوله:

Archive of SID

www.SID.ir

هرب النـوم عـن جفـونی فیهـا هرب الأمـن عـن فـؤاد الجبـان

(الاسکندری، أحمد، بلاتا، ج١٣: ٦٧)

وصاحب المصیبة یغادر النوم عینیه، فانظر کیف یصوّره بشّار فیما یلی:

کـأنّ جفونـه سُـملت بشـوک فلـیس لنومـه فیهـا قـرار

جفت عینیی عن التغمیض حتی کـأنّ جفونهـا عنهـا قصـار

(شیخو، لویس، ١٩٩٨م، ج٢: ٢٣)

ویری تأبط شراً أنّ العین لو نامت استیقظ القلب حارساً علیها کما جاء فی قوله:

إذا خاط عینیهِ کری النـوم لـم یـزلْ لـه کـالئٌ مـن قلـب شـیحان

(الاعلم الشنتمری، یوسفبن سلیمان، ١٩٩٢م، ج١: ٢٥٦)

ویقصد نفسه لمّا نامت عیناه کان فؤاده مستیقظاً حارساً علیها وقت النوم، وهذا هو الذکاء بعینه.

١٣. أجزاء العین

للعین أجزاءٌ متعدّدة ذکرها الشعراء، وإنّما نشیر هنا الی بعضها التی وقفنا علیها فی هـذه العجالـة، فمنها الجفن الذی هو غطاء العین، حیث یقول الشیخ محمد عبد المطلب:

سلو عنـه عینـاً قـرّح السـهد جفنهـا یُخـطّ علیهـا فـی الظـلام ویسـطّر

(الاسکندری، أحمد، بلاتا، ج١: ١٠٣)

ومنها المحجر، وهو ما دارت العین فیه، کما فی قول ابن أبی الحدید:

قسماً بترب نعالـه فمحـاجری أبـداً بغیـر غبـاره لا تکحـل

(الصالح، صالح علی،١٩٧٢م: ١٤٩)

ومنها الحُجاج وهو العظم المشرف علی العین، کما هو فی قول أبی نواس التالی:

تُقلـب طرفـاً فـی حُجـاجی مغـارة مـن الـرأس لـم یـدخلْ علیـه ذرور

(شیخو، لویس، ١٩٩٨م، ج٣: ٥١)

ومنها الطرْف، وهی ناحیة العین أو حرکتها، کما جاء فی قول ولی الدین یکن:

کم یُوحی طرفُـک لـی غـزلاً وأنـا فـی شـعری أُنشـده

(الاسکندری، أحمد، بلاتا، ج١: ٩٥)

Archive of SID

www.SID.ir

١٤. مصطلحات العين

اذا اقترنت العين بحرف أو كلمة أصبحت لها معانٍ مختلفة، وهى كثيرة الاستعمال على ألسن الادباء والشعراء، لقد أحصينا منها ما يلى:

فمنها قرّة العين، فهى كناية عن الفرح والسرور، قال تعالى: ﴿وَ قالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لى وَ لَکَ﴾ (القصص/٩)، والقرّة امّا مشتقة من القرور، اى برد العين عند السرور، أو من القرار واستقرار العين عند السرور، قال أبونواس:

قـرّةُ عينـى، وبـردُ عيشـى بـان، وريحـانتى وطيبـى

(أبو نواس، الحسن بن هانى،١٩٨٠م: ٢٦)

ومنها طرفة العين اى اطباق الجفون، ومنه قول عمر ابن أبى ربيعة:

ليت حظى كطرفة العين منها وكثير منها القليلُ المهنّا

(شيخو، لويس، ١٩٩٨م، ج٢: ١٩١)

ومثل قول الحطيئة:

قومٌ يبيتُ قريرَ العين جارُهم إذا لوى بقوى أطنابهم طُنُبا

(المصدر السابق، ج٢: ٤٢)

وانظر الى قول عمر بن أبى ربيعة التالى:

فإن تصرّمينى لا ارى الدهر قرّة لعينى ولا ألقى سروراً ولا سعدا

(المصدر السابق، ج٢: ١٨٨)

ومنها إنسان العين أى سوادها، كما جاء فى قول شمس الدين محمود الكوفى:

انسانُ عينى مذ تناءت داركم ما راقه نظرٌ إلى إنسان

(الاسكندرى، أحمد، بلاتا، ج٢: ١١٢)

وكذلک قول المتنبى التالى:

فجاءت بنا انسان عين زمانه وخلّت بياضاً خلفها ومآقيا

(البرقوقى، عبدالرحمن، ج٢: ٤٢٤)

ومنها رأى العين اى اليقين، كما أشار الله سبحانه قائلاً: ﴿يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْىَ الْعَيْنِ﴾ (آل عمران/١٣)، وكما قال أبو تمام فى البيت التالى:

لمّا رأى الحرب رأى العين توفِلِسٌ والحربُ مشتقة المعنى من الحرَب

(شيخو، لويس، ١٩٩٨م، ج٣: ٨٨)

Archive of SID

www.SID.ir

ومنها ما جاء مجروراً بالباء، کقول الحارث بن حلزة الیشکری التالی:

وبعینیـــک أوقـــدت هنـــدٌ النـــا ر أخیـــراً ،نُلـــوی بهـــا العلیـــاء

(الزوزنی، الحسین‌بن احمد، ۱۹۹٤م: ۱۷۳)

یعنی بمرأی منک. هذا ولقد تفنن أبونواس فی اشعاره بانواع المصطلحات،فقد استعمل مضرّ اللحظ لناعس الطرف فی قوله:

أنـــا الفـــداءُ لظبّـــی مضـــرّ اللحـــظ رطـــب

(أبو نواس، الحسن بن هانی،۱۹۸۰م: ۲۵)

واستعمل ابن الرومی العین واللحظ مجازاً فی قوله:

قـد رمـت ألحاظـهُ کبـدی ســـهام للـــردی صـــیّب

(دیوان إبن‌الرومی: ۳۲)

وله ایضاً:

ورمی طرفُک المکحّـل بالسـح رفـؤادی فصـار رهنـاً لـدیک

(المصدر السابق: ۱۵)

واما مصطلح بیاض العین فهو کنایة عن العمی،کما جاء فی القرآن الکریم: (وَ ابْیَضَّتْ عَیْناهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ کَظِیمٌ) (یوسف/۸٤)، و کما یقول سوید بن أبی کاهل الیشکری:

کمهـت عینـاه حتـی ابیضّـتا فهـو یلحـی نفسـه لمّـا نـزع

(شیخو، لویس، ۱۹۹۸م، ج۲: ۱۷۹)

والمراد من کمه ای الذی یُولد أعمی، ویلحی ای یلوم، ونزع ای کفّ.

واما مصطلح أولو الابصار فاستخدمه القرآن العظیم لذوی العقول کما جاء فی قولـه تعـالی:(یُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّیْلَ وَ النَّهارَ إِنَّ فی ذلِکَ لَعِبْرَةً لِأُولِی الْأَبْصارِ) (النور/٤٤)، فأصحاب العقـول یـدرکون التغیـرات المحیطة بهم من کلّ جانب، ویتفکرون فی خلق السموات والارض ربّنا ما خلقتُ هذا باطلاً سبحانک. قال الامام علی(ع): فانّی فقأت عین الفتنة(خ/۹۳)، ای قلعتها، هذا وانّ للبحث صلة لیس هذا مقامها.

۱۵. عمی العیون

قال تعالی : (قُلْ هَلْ یَسْتَوِی الْأَعْمی وَ الْبَصیرُ) (الانعام/۵۰) ،فمن کبری نعم الله علی البشر الرؤیة بالعین، ومن یعمل علی بصیرة فقد أفاد نفسه، ومن تظاهر بالعمی فقد أضرّ بنفسه، والذین یُعرضون

Archive of SID

www.SID.ir

عن آيات ربّهم فی الحياة الدنيا هم اشدُّ عمیً يوم القيامة. هذا ويری المتنبی ان أدبه جعل الاعمی بصيراً والأصم سميعاً كما جاء فی البيت التالی:

أنا الذی نظر الأعمی الـی أدبـی وأسمعت كلماتی من به صـممُ

(البرقوقی، عبدالرحمن، بلاتا، ج٣: ٨٣)

وقيل انّ المعرّی كان إذا قرأ هذا البيت أو سمعه يقول : أنا الاعمـی. ويـری بشـار انّ جـلاء العيون امّا بالعلم او بالسيوف كما جاء فی قصيدتين مختلفتين:

اولاک الالـی شـقّوا العمـی عن العـين حتـی أبصـر الحـقّ
وما قـرع الاقـوام مثـل مشـيّعٍ أريبٍ ولا جلّی العمی مثلُ عالم

(شيخو، لويس، ١٩٩٨م، ج٣: ١٣و١٧)

وبهذه الرؤية ترى ليلى الاخيلية فی هذا البيت:

بضـرب يُبصـرُ العُميـان منـه وتعشی دُونـه الحـدقُ البصـارُ

(الاعلم الشنتمری، يوسف بن سليمان،١٩٩٢م، ج١: ٢٢٨)

ويری بشار بن برد إنّ البصر إذا عمی فی الحبّ فإنّ الأذن تبدأ بالعمل نيابة عنه:

فما تبصرُ العينان فـی موضـع الهـوی ولا تسـمع الاذنـان إلّـا مـن القلـب

(شيخو، لويس، ١٩٩٨م، ج٣: ١٩)

١٦. العين والتجسس

العين تكون جاسوساً مجازاً وعلاقتها الجزئية، وهی امّا ان تكون جاسوساً علی القلب فهی اشـدّ وطأً من غيرها ، كما يُشير البحتری الی ذلک:

إذا العين راحت وهی عينٌ علی الجـوی فلـيس بسـرّما تُسـرُّ الاضـالع

(الجارم ،علی، ١٩٦٤م: ٦٩)

وهكذا يری الشريف الرضی فی قوله:

لا أتبـعُ القلـب الـی غيـركم عينـی لكـم عـينٌ علـی قلبـی

(الشريف الرضی، محمدبن‌الطاهر، ١٤٠٨ هـ.ق، ج١: ١٨)

وامّا إن تكون جاسوساً بالمعنی العام كما قال الامام علی (ع) :ثم تفقّدْ أعمالهم وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم (صبحی الصالح، ٤٣٥). وقد جمع أبونواس المعنيين فی قصيدتين مختلفتين:

Archive of SID

www.SID.ir

إن كان يمنعک الزيـارة أعـينٌ فادخــل علــيّ بعلّــة العــوّاد
كأنّ طرفـی عـين علـيّ لهـم فكــلّ طــيّ لــديّ منشــور

(أبو نواس، الحسن بن هانی، ١٩٨٠م: ٥٥ و٧٨)

ويرى أبو العتاهية أنّ الجاسوس لو كان من النمامين فهو أشدُّ مرارة على الانسان:

من جعـل النمـام عينـاً هلكـا مبلغــک الشــرّ كباغيــه لكــا

(شيخو، لويس، ١٩٩٨م، ج٣: ٤٢)

والحديث فی هذا المجال ذوسعةٍ ويستطيبه المخاطب، ولكن المجال لا يسع لذلک.

١٧. العين والحسد

من أشدّ الأمراض النفسية التی يبتلی بها الإنسان هوالحسد، و نستجير بالله من شرّ الحساد وفتنـة العيون والأبصار، ومن حسد الكفّار الذين يقول عنهم العزيز الجبّار: (وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ لَـوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ) (البقرة/١٠٩). وقال الإمام علی (ع) فـی هذا المضمار: العين حقٌّ، والرقی حقٌّ، والسحرُ حقٌّ،والفألُ حقٌّ،والطيرة ليسـت بحـقّ، والعـدوی ليست بحقّ،(الصالح ،صبحی،١٩٦٧م، ٥٤٦). فلا شک اذا العين حسدت أصابت هدفها ، ودمرت اليابس والاخضر، وأفنت كلّ شيئ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا.

هذا وانّ الادباء خاضوا فی هذا الموضوع وبالغوا فيه، كما نری ذلک فی قول أبی فراس:

رمتنـی عيـون النـاس حتـی أظنّهـا ستحسدنی فی الحاسـدين الكواكـب

(الاسكندری، أحمد، بلاتا، ج٢: ٩٧)

فانّ ابا فراس يری حتی الكواكب علی مابها من علوّ شأن ومقام تحسد الانسان. وكذلک قول مهيار:

كلُّ شيئ حسنٌ، حاشاک ـ فالعين تُصيبه

(شيخو، لويس،١٩٩٨م، ج ٣: ٢٠٨)

واعلم أنّ الحسد يزيل النعم، فانظر الی قول أبی عبد الله محمد القزاز القيروانی حيث يقول:

إذا أمنت قلـوب النـاس خافـت عليـک خفـيّ ألحـاظ العيـون

(الاسكندری، أحمد، بلاتا، ج٢:١٦)

وهكذا يعتقد الطرماح حيث يقول:

إذا ما رآنی قطّـع الطـرف دونـه ودونی فِعـلَ العـارف المتجاهـل

(الاعلم الشنتمری، يوسف بن سليمان،١٩٧٢م، ج١: ٢٨٧)

Archive of SID

www.SID.ir

أی قد عرفنی بشهرة نسبی وفضلی الّا انّه یتجاهل فی معرفتی حسداً لی ورغبة فـی إخفـاء مکانی علی حسبی. و شبّه أبونواس حسد العین بالعقرب فی قوله:

یـا مـن فـی عینیـه عقـرب فکـلّ مـن مـرّ بهـا تضـربُ

(أبو نواس، الحسن بن هانی،١٩٨٠م: ٢٢)

ویری أبو العتاهیة علاجاً من الحسد ان تجعل نقطة فی وجه الحبیب کما جاء فی البیت التالی:

قـد نقطّـت فـی وجههـا نقطـة مخافـة العـین مـن الکحـل

(شیخو، لویس، ١٩٩٨م، ج٣: ٣٣)

١٨. العین إنسان کامل

لو نظرنا الی ما قالته الشعراء فی العیون لوجدناهم یصفونها باکمل انسـان، فـالعیون تـارةً تعشـق واخری ترمی سهماً و تتکلّم وتغضب وتختارو ... فجعلـوا أدقّ الاوصـاف لهـا وکأنّهـا الانسـان الکامل، والان لننظر الی هذه المعانی بشیئ من الدقة. فهذا السریّ الرفاء یری انّ العین تعشق کما جاء فی هذا البیت:

عشقت محاسـنه العیـون فلـو رنـت أبـداً إلیـه لمـا قضـت أوطارَهـا

(المصدر السابق، ج٣: ٢٤٩)

ویری المرار بن المنقذ أنّ العین تغضب لما یقول:

حنِـق قـد وقـدت عینـاه لـی مثلمـا وقّـد عینیـه النمـر

(الخطیب التبریزی، یحیی بن علی،١٩٨٧م، ج٢: ٤٢١)

والمراد من وقدت عیناه لی ای التهبت علیّ غیظاً وغضباً.

والعین أحیاناً تتکلّم کما یصوّرها أبونواس فی هذا البیت:

دمـوعی مزجـت کاسـی ومـا أطهـرت وسواسـی
ولکـن نطقـت عینـی فنمّـت عـن هـوی القاسـی

(أبو نواس، الحسن بن هانی،١٩٨٠م: ٩٢)

وهکذا یری الشریف الرضی فی قوله:

حکت لحاظک ما فی الرئم من ملـح یـوم اللقـاء فکـان الفضـل للحـاکی

(الشریف الرضی، محمدبن‌الطاهر، ١٤٠٨ هـ.ق، ج٢: ١٠٧)

Archive of SID
www.SID.ir

وأحياناً اخرى تختار العين فى وصف الاشياء كما يرى محى الدين بنى قرناص الحموى:

وربّ نهـــر لـــه عيـــون تحـــارُ فـــى وصـــفه العيـــون

(الاسكندرى، أحمد، بلاتا، ج٢: ١٣)

والعين تعتبر وريثة الحزن كما يصفها الشريف الرضى فى أبياته التالية:

يـــا رســـولَ الله لـــو عـــاينتهم وهـــم مـــا بـــين قتلـــى وســـبا
من رميض يمنـع الظـلّ ومـن عـاطش يُسـقى أنابيـب القنـا
لـرأت عينـاک مـنهم منظـرا للحشى شـجواً وللعـين قـذى

(الشريف الرضى، محمدبن‌الطاهر، ١٤٠٨ هـ.ق، ج١: ٤٤)

ويرى أميرالمؤمنين الإمام على(ع) انّ العين تكذب كما جاء فى قوله: «ليست الرؤية كالمعاينة مع الابصار، فقد تكذب العيون أهلها، ولا يغشُ العقل من استنصـحه» (صـبحى صـالح : ٥٢٥). ويرى احمد شوقى انّ للعيون ألحان كما للطيور ألحان:

والطير تصدح من خلـف العيـون بهـا وللعيـــون كمـــا للطيـــر ألحـــان

(الاسكندرى، أحمد، بلاتا، ج١: ١١٢)

ومما يراه أبونواس انّ العين تصطاد كما يقتنص الصياد الفريسة:

فرمـــى بـــالطرف نحـــوى وهـــو بـــالطرف يصـــيد

(أبو نواس، الحسن بن هانى ،١٩٨٠م: ٥٧)

وكذلک يعتقد انّ العين تطمح كما فى قوله:

قـــال لـــه والعـــين طمّاحـــة يلهـــو بـــه، والصـــبر مغلـــوب

(المصدر السابق: ١٩)

ويرى ولىّ الدين يكن أنّ العين ترصد الامور فى بيته التالى:

خلّـــان هُمـــا شمســـا فلـــک طرفـــى مـــع طرفـــک يرصـــده

(الاسكندرى، أحمد، بلاتا، ج١: ٩٥)

واخيراً تتحسّر العين كما تتحسّر النفس، كما جاء فى قول السرىّ الرفاء:

فالعين تحسرُ أن رأت أشـواقها والنفس تنعم ان بلت أخبارهـا

(شيخو، لويس، ١٩٩٨م، ج٣ک ٢٩)

وهكذا الظنّ عند محمود سامى البارودى الذى يقول:

Archive of SID

www.SID.ir

ولمّا وقفنا للوداع و اسبلت مدامعنا فوق الترائب كالمزن
فكم مهجى من زفرة الوجد فى وكم مقلة من غرزة الدمع فى

(الهاشمى، أحمد، بلاتا، ج٢: ٢٨٩)

ومن المعلوم أنّ الموضوع لا يقف عند هذا الحدّ، بل هو ممتد بامتداد البصر، يحتاج الى دراسة معمقة أكثر والوقوف على جوانب أهمّ وأعظم من هذا الذى قمنا به، وهذه المبادرة ما هى إلّا إشعال نار الحبّ والتحقيق فى قلوب أصحاب الذوق والفنّ السليم.

وفى النهاية أرجو القبول من أصحاب العقول وأهل الفنّ والأدب.

الخاتمة

إنّ ما توصّلنا إليه فى هذا البحث هو أنّ العين هى الدليل للحياة المتكاملة، إذا تمّ إستعمالها بصورة صحيحة، فهى من أكبر مظاهر الجمال، وبها نتعّرف على الجمال، عشقتها الاذواق السليمة من ذوى الشعور المرهفة، ومن جهة اخرى جعل الله سبحانه الحور العين ثمناً لأصحاب اليقين من المؤمنين الذين بذلوا مهجهم للدين وعملوا الصالحات. والبحث ذو سعة، يستحق التحقيق من قبل ارباب العلوم وأصحاب الفنون. وما توفيقى الّا بالله عليه توكلت وإليه أُنيب.

المصادر

القرآن الكريم.
الاسكندرى، أحمد، ١٩٥١م، *المنتخب من أدب العرب*، القاهرة، المطبعة الأميرية.
الامينى، عبد الحسين، ١٩٦٧م، *الغدير*، ج٤، بيروت، دار الكتاب العربى.
ابن الفارض، عمر بن أبى الحسن، ١٩٦٢م، *ديوانه*، بيروت، دار صادر.
ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، ١٩٠٢م، *الشعروالشعراء*، بيروت، دار صادر.
أبونواس، الحسن بن هانئ، ١٩٨٠م، *ديوانه تحقيق فوزى عطوى*، بيروت، دار صعب.
الاعلم الشنتمرى، يُوسف بن سليمان، ١٩٩٢م، *شرح حماسة ابى تمام، تحقيق على المفضّل حمودان*، بيروت، دار الفكر.
البرقوقى، عبد الرحمن، بلاتا، *شرح ديوان المتنبى*، بيروت، دار الكتاب العربى.
الثعالبى، اسماعيل، بلاتا، *فقه اللغة*، مكة المكرمة، دار الباز.
الجازم، على ومصطفى امين، ١٩٦٩م، *البلاغة الواضحة*، مصر، دار المعارف.
الخطيب التبريزى، يحيى بن على، ١٩٨٧م، *شرح اختيارات المفضّل*، بيروت، دار الكتب العلمية.
الدامغانى، الحسين بن محمد، ١٩٧٠م، قاموس القرآن*تحقيق عبدالعزيزسيدالاهل*، بيروت، دارالعلم للملايين.
الزوزنى، الحسين بن احمد، ١٩٩٤م، *شرح المعلقات السبع*، سوريا، دار الإرشاد.

Archive of SID
www.SID.ir

الشريف الرضی، محمد بن الطاهر، ١٤٠٦ هـ.ق ، *دیوان*، ایران، وزارة الإرشاد الإسلامی.
شیخو، لویس، ١٩٩٨م، *المجانی الحدیثة*، تحقیق فؤاد البستانی، قم، انتشارات ذوی القربی.
الصالح، صبحی، ١٩٦٧م، *نهج البلاغة*، بیروت، بلاتا.
الصالح، صالح علی، ١٩٧٢م، *الروضة المختارة*، بیروت، مؤسسة الاعلمی.
الطبرسی، الفضل بن الحسن، ١٣٧٩ هـ.ق، *مجمع البیان*، بیروت، دار احیاء التراث العربی.
الطریحی، فخر الدین، بلاتا، *مجمع البحرین*، طهران، کتابفروشی مصطفوی.
عبد الباقی محمدفؤاد، ١٣٦٤ هـ.ق، *المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الکریم*، القاهرة، دارالکتب المصریة.
قمی، عباس، ١٣٨٥ش، *مفاتیح الجنان*، تهران، پیام عدالت.
محمدی، محمد،١٩٧٣م، *درس اللغة والأدب*، طهران، منشورات جامعة طهران.
المصطفوی، السید جواد، ١٣٩٥ هـ.ق، *الکاشف*، طهران، دار الکتب الاسلامیة.
الهاشمی، احمد، بلاتا، *جواهر الأدب*، بیروت، مؤسسة المعارف.

Archive of SID

www.SID.ir